في تاريخ الحبش انّ نبأ انجس حيث وقع الشهيد قتيلاً فشفي بمائهِ كثيرون من امراضهم حتى طلبت دولة البرتغال من رومية ان يُنظم في سلك الطوبويين الشهداء.

اما الحبش فانهم لم ينسوا فضل كبيترقان وشاعت بينهم مآثرهُ فكانوا يشيدون بذكر اعمالهِ في حياتهِ وينظمونهُ في عداد شهداء الايمان. فمى ذكرهُ يحيا في قلوبهم في هذه السنة المخصَّصة بتذكار اخيهِ فاسكو دي غاما فينالوا ببركة استشهادهِ ان يدينوا بدينهِ ويرتدُّوا الى الايمان الكاثوليكي ايمان القديسين اثناسيوس وفرومنسيوس رسولي الحبشة فيستنيروا بانوارهِ ويستقوا من مناهلهِ الصافية

سليمان البستاني

نظم فؤاد افرام البستاني استاذ البيان في كلية الحكمة

القسم الثاني: رجل السياسة

عاق السياسة وهي بكرٌ حرائرُ وشاع عنها الوحةً وهي وقاحُ (فوزي المعلوف)

تبدأ حياة البستاني السياسيَّة سنة ١٩٠٨ بانتخابه نائباً عن ولاية بيروت في مجلس المبعوثان العثماني. وكان قبل ذلك قد درس اكثر اراضي الدولة لاسيما العراق وبلاد العرب درساً اجتماعياً سياسياً اقتصادياً. وبحث عن المناجم والسلالات وكيفيَّة الانتفاع من الريّ وطرُق تحسين الزراعة والصناعة والتجارة. هذا عدا عن المعارف الجمَّة عن احوال الدولة السياسيَّة ونزعات كبار رجالها ممَّن عرفهم بنفسه او قرأ مؤلفاتهم او اطَّلع على قوانين جمعيَّاتهم

١. آراؤه

ولم يُعلَن الدستور حتى اخذ بكتابة هذه المعلومات المختلفة الجمَّة عن احوال تركيا فأبرز كتابهُ في اسرع ما يمكن من الوقت وأسماه عبرة وذكرى او الدولة

العثمانية قبل الدستور وبعده». ولما كان هذا المؤلف جامعاً لآرائه في السياسة والاجتماع والعمران بل هو خلاصة ابحاثه الطويلة في هذه المواضيع رأينا من اللازم درسهُ فنرى آراء الرجل قبل ان نشاهد اعماله

يقع الكتاب في ٢٠٤ صفحات جمع فيها المؤلف معلوماته مقسَّمة الى اقسام عديدة توضح افكرته وتسهل على الجميع تناولها . فدرس اولًا الدستور القديم والحديث وعلاقته بالاستبداد والحريَّة . وتطرَّق الى ذكر اصناف الحريَّة كالحرية الشخصية وحرية الصحافة والتعليم والتأليف والقراءة والمكاتبة والجمعيات ورجال الدولة . ثم بحث في الدستور والتعصب والخفية ورجال الدين والهاجرة ومأموري الحكومة وماليتها . وجزَّءُ هذا الموضوع الاخير الى درس موارد الثروة فتكلم عن الزراعة والمعادن والصناعة والتجارة والاعمال العامة والشركات والسياح والمستوطنين وختم الكتاب بنظرة عامَّة في واجبات مجلس النواب وما ستفضي اليهِ احوال الدولة بعد ٢٥ سنة

بحث في كل هذه المواضيع بنظره الثاقب ورزانته المعروفة فوفَّى كلَّ مطلب حقَّهُ مبتدئاً بمعلوماته عن ذاك المطلب من حيث التاريخ والسياسة والاقتصاد والعمران ذاكرًا ما يظهر لهُ من اسباب الفساد وطرُق الاصلاح القريب او البعيد . وتجنَّب تطرُّف المتشائمين ونزق المتهوِّسين فسلك مسلكاً قويماً كان من الصعب السير فيه اذ ذاك وقد ارهق الاستبداد نفوس المفكرين واتتهم الحريَّة دفعة واحدة فهبُّوا لا يعتدلون في شيء . . . . اما هو فقد ترفَّع عن تأثير الزمان والمحيط فبدا رزيناً عاقلًا اذا ذمَّ الاستبداد لاحظ ان مراده بذاك التعريف «ليس الحكم المطلق الذي له بلا ريب مزايا باهرة مع جهل الرعية وذكاء الراعي بل الاستبداد بمعنى الحكم الجائر الذي اباح الموبقات واستباح المحرمات» (ص ١٨)

واذا طلب حريَّة الصحافة بعد وصف تقييدها والتضييق عليها اعتدل بطلبه فقال:

«واننا بلاريب لا نطمع ولا نودُّ ان نتخطَّى الآن الى ما وراء المعقول فنطلب ونبة واحدة من وحدة المسكتة الاضطرارية الى قمة التهوُّر الاختياري بل جلَّ ما نتمنَّاه ان تباح لنا رواية الاخبار وترديد صدى الافكار والنظر في شؤون انفسنا من الفاء درس مفيد وعرض مقترح جديد وقد عامل وعمل والبحث في كل ما من شأنهِ ان يلذَّ ويهذب ويفيد . وعلى الجملة اطلاق الحريَّة الى ما لا يفضي بنا الى مثل الفوضى التي استحكمت بين بعض جرائد مصر لستين مضت». (ص ٣٣-٣٤)

وهذا ما لا يزال يطمح اليه ارباب الصحف العاقلين

واذا حض الكتّاب على النهوض من سُبات الخمول وفك القيود وابراز مكنونات الصدور في عصر الحرية والنور حذرهم برفق من التهوّر المشؤوم وقال:

«ولكن الاصل وطيد ان ثورة المرور لا تأخذكم فتتخطّوا جادّة اليقظة والاعتدال لئلّا يختلط النفع بالضرّ والخير بالشرّ» (ص: ٦٦)

وكما كان يحبّ ان يجعل التروّي زماماً لكل اعماله كذلك كان يرغب في نشره حوله ولاسيما بين رجال الدولة ... وقد قال بعد ان ذكر تهوّر المجلس الاوّل:

«فكفى بما مضى عبرةً لنا وعظة. ورجاؤنا ان يتخذ الاعضاء التأني والتروّي شعاراً متجردين عن المصالح الخاصة غير طامعين بكسب الشهرة من وراء المنافشات الطويلة التي لم تجنِ بعدُ زمنها. فانتا الآن احوج الى تلقي الدروس منا الى القائها بالخطب واللوائح»

كُتبت هذه الجملة سنة ١٩٠٨ موجّهة الى مجلس النوّاب العثماني. وكأنها كتبت سنة ١٩١٥ موجهة الى المجلس اللبناني!!!

كان الفقيد من رعايا الدولة العثمانية وعليه كان يرى من واجباته ان يبذل جهده في اصلاح شأن هذه الدولة. ولم يكن ذلك ليمنعه من السعي في تقدّم أمته العربية ووطنه الصغير لبنان. ولكن كان من مذهبه على ما امكننا استخلاصه من كتاباته والمرويات عنه عدم الانفصال عن الدولة بل تأليف عدة حكومات لا مركزية كما سنرى

على انه لم يخشَ وهو المسيحي المحبّ لدينه — وقد درسنا تديّنه في العدد الماضي ان يجاهر بحقيقة ما رأى وما استنتج من ان عدم تجنيد المسيحيين مع المسلمين مضرّ بمصلحة الدولة ومصلحة رعاياها من النصارى. ولم يخشَ وهو العربي المتعصب للغته ان ينادي بان عدم تعميم اللغة التركية كان من اسباب انفصام عرى الألفة بين عنصري الدولة: العرب والترك. وقد قال في آخر فصل الدستور والتعصب واصفاً الدواء الفعّال لحسم هذا الداء بعد ان اورد مآتي رجال الدولة في هذا السبيل:

«ولكنه لو اتيح لنا ان نُضيف رأياً الى تلك الآراء النيّرة لقلنا ان اعظم الوسائل لضمان اضمحلال التعصب الديني تجنيد المسيحيين مع المسلمين واعظم وسيلة لاضمحلال التعصب الجنسي تعميم اللغة الرسمية وجعل تعليم اللغة التركية اجبارياً. فان هاتين الوسيلتين مع تعميم اسباب العلم

والتهذيب بضمان توثيق عرى الوداد والإخاء» (ص ٢٩٨)

وقد علّق في انهاض الشعب املاً كبيراً على المرأة العثمانية واشار بتدريبها وتعليمها اساليب الرقي كيف لا وهي «القوام الاعظم لكل تمدُّن حقيقي ثابت . . . والعون الاكبر للرجل في رجوليته ومربيته في طفوليته ورفيقته في عزلته ومؤاسيته في شدته واليها مرجع الفضل في تشقيف العقول النامية وانبات غرس الفضائل فيها»

اما ابحاثه في موارد الثروة على اختلاف انواعها فهي غاية في الدقة . وكان اول من كتب فاستوفى (ص ١٠٩) الموضوع في الثروة الناتجة عن زيارة السياح لبلادنا . . الى غير ذلك من الابحاث التي لم يؤثر فيها انقسام وحدة تركيا الّا القليل وهي لا تزال تنطبق حقّ الانطباق على بلادنا هذه في نهضتها الجديدة وما أشبهها بتركيا سنة ١٩٠٨

٢ اعماله

أ في المجلس

كان في مجلس المبعوثان قليل الكلام كثير التفكير لا يحبُّ المناقشات الطويلة التي لا طائل تحتها . وكان اذا عرض له اقتراح بسطه بهدوء عُرف به . واذا احتاج الى الدفاع دافع طويلاً مُدلياً بالحجج الدامغة . واذا طُلب اليه الكلام خطب بعد سكوت قد يطول فيروى الغليل ويُبهر الابصار لمعة في المادة وقوة ودقة في التعبير وتعمُّق في البحث . ولعدم ميله المتبجح والمناقشات التافهة كان في مجلس المبعوثان على اعماله العديدة ومساعيه الجمة التي سنذكرها يكاد يكون غير شهير . ولكن السلطان كان يعرف مقدرته حقّ المعرفة . فكان يعهد اليه برئاسة الوفود الى عواصم اوربا . ولم يلبث ان نقله الى مجلس الاعيان ثم أُسندت اليه الوزارة والمجال اوسع والبحث اكثر فائدة فظهر نبوغه ولمع لمعاناً لا ينطفئ في القريب . . .

فحقق بكل ذلك آمال مواطنيه البيروتيين وكانوا قد تردّدوا بادئ بدء في انتخابه لما كان يُذيعه في ذلك الحين بعض خصومه من ذوي الغايات من انه اهان المسلمين وتنبّهم في كتابه الجديد (الاياذة) . . .

راجت هذه الاشاعات في بيروت سنة ١٩٠٨ فصدّقها المسلمون باجمعهم . وكاد

خصومهُ يفاخرون لولا ان تصدّى لهم بعض الافاضل من ملّتهم وجمعوا كبار رجال الاسلام واتوا امامهم بالاياذة واخذوا يقلّبونها صفحةً صفحةً برهنين على كذب الادعاء.

عند ذاك اقتنع الزعماء وقالوا ان المسلمين لا ينتخبون غير البستاني. وهكذا كان. وقد حفظ لهم الفقيد هذه الحسنة ولكم ذكرها في اواخر ايامه الى الاستاذ بولس غانم فقال «ان الفضل في انتخابه نائباً عن ولاية بيروت يعود الى المسلمين قبل المسيحيين...» (وزاد قائلاً): «والى الارثوذكس قبل ابناء طائفته الاروتيين...»[1]

وألّف في المجلس اذ كان رئيسه الثاني اللجنة النيابية الدولية وترأسها ولم تلبث ان اتصلت بجميع مجالس العالم وكانت غايتها تأييد العلائق الودّية بين هذه المجالس. وكان رئيساً لاربع لجان غيرها منها لجنة التحكيم الدولي لازالة سوء التفاهم في المشاكل التي تحصل بين تركيا والدول الاجنبية. وقد عزّز هذه اللجنة بانشاء جمعية مرتبطة بها تمتدّ فروعها في سائر الولايات العثمانية فتُحكم عرى الاخاء بين العناصر المختلفة في السلطنة.

وكان متفقاً مع الاتحاديين في اصلاح مرد الدولة. وحضر الحفلة العمومية في سان ستيفانو سنة ١٩٠٩ وتوّر معهم خلع السلطان عبد الحميد. ولما اتى وفد مسلمي الهند طالباً معرفة اسباب الخلع عُهد اليه بتلك فتكلّم واقنع الاعضاء بصحة الخلع ولزومه فرجعوا راضين.

ولم ينسَ منتخبيه وقومهُ ووطنه ولقبه فحفظ حقوق البيروتيين في «مكتب الصنائع» وجاهد فنجح ومنع الحكومة من الاستيلاء عليه. وكان قد صدر امرٌ الى الولاة ان يمنعوا الاطباء والصيادلة المتخرجين في المدارس الاجنبية من الاستخدام في البلديات ومستشفياتها فرأى هذا الامر مجحفاً بحقوق قومه فقاومه واشتغل فنقضه.

وافتكر بالمهاجرين من مواطنيه فألفت الى حالتهم اولي الامر وشكّل لجنة رسمية للنظر في شؤونهم. وكان على اتصال مع كبار صحافيّيهم فكانوا يطلعونه على احوالهم. وقد سعى طويلاً فانشأت الدولة قنصليات عثمانية حيث يكثرون وحمل مجلس المبعوثان فقرّر النفقات اللازمة لذلك.

وكان من مآثره انه اشتغل باصلاح ذات البين بين اكليروس الروم الارثوذكس

---

(١) بولس غانم: من هو سليمان البستاني – لسان الحال في ٣-٦ آب ١٩٢٥

وعلمانيي هذه الطائفة في فلسطين وكانوا قد اختلفوا على ادارة الاوقاف فنجح وألف المجلس الملي المختلط

وتجاوزت عنايته بلاده الى العراق واليمن وكان اهلوهما يتشكون ثقل الضرائب غير المشروعة فدافع عنهم وسعى فخفّف تلك الضرائب. وقد استفاد من ابحاثه السالفة في بادية العرب فشرح احوال القبائل شرحاً مستوفياً كان واسطة في تحسين معاملاتها الرسمية

وقد شهد المستر مورغنتو سفير اميركا في الاستانة سابقاً ان الفقيد هو واضع مشروع توحيد الديون العثمانية. وكان في الوقت نفسه يدافع عن الامة العثمانية في صحف الانكليز والفرنساويين مبيناً لاهل اوروبا ان الدستور لا يُنافي الشرع الاسلامي في شيء

ولم تنحصر اعماله في حدود وظيفته بل كانت تتجاوزها الى الوزارات واللجان المختلفة فيمد برأيه الصائب الكثيرين من رجال الدولة. يشهد بذلك ما قاله محمود شوكت باشا للمعلم شاكر عون الجزّيني وكان هذا قد سافر الى الاستانة بعد خلع السلطان عبدالحميد مع الوفود الآتية من جميع السلطنة. فاستقبلهم محمود شوكت باشا وهو اذ ذاك وزير الحربية وذو الامر والنهي في الدولة واخذ يسلّم عليهم وأحد الاعيان يعرّفه بهم. واذ انتهى الدور الى المعلم شاكر قيل لمحمود باشا: هو مُن اعيان بيروت. فابتسم «الديكتاتور» وقال: «أتكلّفك ان تُعلم اهل بيروت ان نائبهم البستاني هو كناية عن مستودع كهربا. يُرسل اشعّته الى كل دوائر الاستانة... حتى الى وزارة الحربية...»

***

وكان السلطان يوفده الى العواصم الاوروبية إمّا وحيداً واما رئيساً للوفود فيسعى حيناً بتعزيز الولاء بين حكومته وحكومات اوروبا وحيناً بحلّ المعضلات السياسية او بعقد القروض المالية (١

واذ انتدبهُ السلطان محمد رشاد لابلاغ جلوسه الى دول اوروبا سافر رئيساً للوفد فزاروا العواصم واستُقبلوا في لندرا استقبالاً فخماً. وقبل ان يقابلوا الملك

١) راجع المشرق (ص: ٧٨٩) وفيها ذكر تلك الوفود

ادوار السابع أقبل رئيس التشريفات فبأنهم طريقة المقابلة وان على رئيس الوفد ان يتكلم اوّلا . ولما تكلم الفقيد وابلغ مهمّته قال الملك بكل لطف : قبل ان أجاوبك رسميًا أحب ان اسألك اين درست اللغة الانكليزيّة ؟ فقال : درستها في وطني بيروت — اذن اقمت مدّة طويلة في انكلترا ؟ . . . واتممت علومك في جامعاتها ؟ . . — لم يسعدني الحظ لذلك يا مولاي بل مررت في بلاد جلالتكم مرتين وهذه الثالثة — اذن درست لغتنا في المدارس الانكليزية في بلادك ويسرّني انك تمكنت من ادراك هذه المرتبة العالية — لا يا ذا الجلالة لم ادرسها في المدارس الانكليزيّة بل في مدرسة بلادي الوطنية (وعنى بها مدرسة المرحوم المعلم بطرس) فابتسم الملك وقال : أَوَيُحسنون في بلادكم اللغة الانكليزية الى هذه الدرجة من الفصاحة ؟ — هذا يدل على رغبتنا في الارتقاء بالعلوم يا ذا الجلالة ! فسُرّ ادوار السابع وقال : اني اهنئك ببلادك واهنئها بك . ثم أرسل ودعا الملكة وعلّمه وابنه وعرّفهم بالفقيد . وخرق العادة فادخله قصره الخاص واراه حجرة الملك والملكة . وحين زار الوفد محمس الاعياد والفوردية تكلّم المورد اسكويث فقال : «انا أشير على كل من يزعم انه لا يحسن ان يتكلم مع البستاني فيتضح له فساد زعمه» . ثم ابتدرته عمده جامعة وكسفرد فخطب في حفلتها السنوية «وأعجب الاوربيون به حتى تناقلوا رسمه بجرائدهم ونشروا سيرته في انسيكلوبذياتهم»(١)

٢ في الوزارة

كان البستاني في باريس يسعى بعقد قرض للدولة اذ رغب اليه البرنس سعيد حليم ان يتولّى وزارة الزراعة والتجارة والمعادن والغابات فقبل بشرط ان يكون حرّ التصرّف بعيدًا عن تدخّل جمعية الاتحاد والترقي فقُبل شرطهُ . حين ذاك قلب تلك الوزارة وادخل فيها الرجال الأكفاء مثل الكرمندان سارّو الفرنساوي (والآن الجنرال سارّو) فقد عينهُ مديرًا لمدرسة الغابات التي كان قد انشأها . وساسون افندي وكيلهُ وهو الآن وزير ماليّة العراق «ونظّم البنك الزراعي وكان اول من افتكر بتأسيس النقابات الزراعية والصناعية في تركيا فطلب من الوزارة ان تعضده في ذلك

---

(١) جرجي نقولا باز : سليمان البستاني (ص : ١٠)

فانتدبت شقيقة الدكتور سليم البستاني المحامي بمصر للسفر الى اوروبا ودرس حالة الزراعة وتقديم تقرير عنها ومشروع بتأسيسها فقام بمهمته على نفقته الخاصة وقدّم تقريره الّا ان اضطراب الحالة الدولية لم تمكن الفقيد من تنفيذ كثير من مشروعات الاصلاح» (١)

واوّل عمل قام به كان اقناع أولي الشأن في الاستانة بضرورة سحب امتياز سكّة حديد بغداد من المانية لأسباب اهمّها ان مساحة العشر كيلومترات المطاة للشركة على جانبي الخط هي مملكةٌ واسعة تشمل اكثر البقاع خصباً ومعادنَ. وقد رضي اولو الامر باقتراحه وبأن تدفع الخزينة التركية ٤ ملايين جنيه تعويضاً لاصحاب الامتياز لينسحبوا. غير ان الحكومة الالمانية تعهّدت لاصحابه بمثل هذا المبلغ واصرّت الّا يرضوا بالانسحاب. ورُجِّحَ عند كثيرين من ذوي البصر في الشؤون السياسية ان سكة حديد بغداد كانت من الاسباب الخفيّة في الحرب الكبرى...

ومن مآثره في الوزارة وقفتُهُ الشهيرة في حادثة غَوْر بَيْسان وقد رواها بنفسه الى نسيبه الاستاذ وديع البستاني:

غَوْر بَيْسان ارض خصبة على ضفاف الاردن فيها سبعة انهار صغيرة اكثرها صالح للريّ وفيها ١٨ قرية واربع عشائر اسلامية والقليل من المسيحيين ويبلغ مجموع سكانها ١٥ الفاً. ومساحة الغور ٥٠٠٫٠ دونم وتقدَّر قيمته بـ ٣ ملايين ليرة. كانت هذه الارض قد سُجّلت باسم السلطان عبد الحميد فاعتبرت من جملة الاراضي المعروفة بالجفالك السلطانية (جمع جفتلك: مزرعة). وكان قد اشار على السلطان بشراء هذه الارض وجعلها من املاكه الخاصّة رجلٌ يهودي من خدَمَته اسمه يعقوب عَدَس. وقد حاول اليهود الصهيونيون شراءها عن طريق شركة الاحزر في الشام فلم يفلحوا. وقاومهم اذ ذاك العرب مقاومة شديدة بزعامة سليم افندي الاحمد احد مشرّعي الحرب...

وصل البستاني يوماً الى الوزارة وكان علم ان قد وصلها قبله انور باشا مع اكثر الوزراء. فتعجب. وزاد عجبه اذ بشّ له انور وقال: «وفّرنا عنك تعباً فقد اعددنا القرار ونتنظر امضاءك»

---

١) المقتطف: سليمان البستاني [آب (١٩٢٥) ص: ٢٦٦]

اما ذاك القرار فكان يبيع اراضي غور بيسان من البارون ادمون دي روتشيلد وشركته المعروفة بشركة الاستعمار اليهودية. وكان من شروط البيع ان يقبض انور باشا في ذاك اليوم مبلغ ٢٠٠ الف جنيه نقداً دفعة أولى تليها باقي الدفعات. أما الساعي في البيع فكان الملا (الخوجه ؟) نجم الدين احد مشايخ الاستانة. وكان الفقيد اذ ذاك بصفته وزير الزراعة متولياً امور البنك الزراعي فجعل يصف لانور وللوزراء اهمية الغور الزراعية والاقتصادية. اما هؤلاء فكانوا متفقين لا يزحزحهم عن قصدهم برهان ولا حجة وابى انور الانصياع محتجاً بحاجة الخزينة الى المال لاصلاح حالة الجيش. عند ذلك قال البستاني: «معاذ الله ان يكون تمنعي عن الامضاء سبباً في إزعاجكم ولكن بدلاً من ان اوقع امضائي على هذا التقرير فانا اوقعه على استقالتي من الوزارة». فتهيب انور باشا إحداث قلق في الرأي العام وتناول القرار فزقه ... وهكذا سلم الغور من مخالب الصهيونيين الى ان كانت «اتفاقية غور بيسان» بين حكومة فلسطين والاستاذ وديع البستاني في ١٩ تشرين الثاني ١٩٢١ وبموجبها جرى تطويب ثلث الاراضي على اصحابها العرب الوطنيين. واذ كانت تركية تستعد للحرب حباء انور باشا سليمان والح عليه فصادق على اقراض الخزينة مئة الف ليرة في الحاضر على ان يقرضها مئة الف اخرى من اموال البنك الزراعي — وتلك قيمة دفعة روتشيلد الاولى — وهذا ثابت من قيود البنك المذكور

ولعل اهم واجل ما اتاه في وزارته هو عقده الصلح بين تركيا وبلغاريا. وتفصيل ذلك انه عند نهاية الحرب البلقانية اراد البلغار عقد اتفاق مع تركية يضمن مصلحة الدولتين فارسلوا وفداً الى الاستانة برئاسة المسيو دي ناتشوفيتز فاقام اشهراً لايحصل على نتيجة. واخيراً اذ كان يريد الانصراف عُهد الى الفقيد بمفاوضته فذهب واذ رآه رئيس الوفد الذي كان يعرفه صاح: «لقد مضى علي ثلاثة اشهر لا افهم منهم ولا يفهمون مني. فأملِ علي شروط الاتفاق كما تريدها». ولم يمضِ القليل حتى عُقد الاتفاق. وقد عثر «المقتطف» على شهادة مكتوبة بخط رئيس مندوبي البلغار على صورته التي اهداها للفقيد وهي:

«A Son Excellence Suleiman El Bustani, ministre du Commerce et de l'Agriculture, comme témoignage de ma reconnais-

sance pour ses efforts et son succès à amener un rapprochement entre l'Empire Ottoman et le Royaume de Bulgarie

signé Délégué Bulgare: G. DE NATCHOVITS

وترجمتها: «الى صاحب الدولة سليمان البستاني وزير التجارة والزراعة اعرابًا عن اعترافي بجميل لجهاده ونجاحه في احداث تقارب بين الامبراطورية العثمانية ومملكة البلغار

(الامضاء) المعتمد البلغاري ج. دي ناتشوفيتز»

واذ رجع سليمان واخبر السلطان بذلك وبالماكسات التي كان يضعها كبار النظّار في سبيل ذاك الاتفاق قال محمد رشاد: «انا عارف... انا عارف وانا اثوقّاهم كما يجب عليك ان تثوقّاهم». ثم اراد تعيينه سفيرًا في لندرا فاعتذر لاسباب صحّية. ولم يملّن ذاك الاتفاق حتى تلقّته جريدة «طنين» بالارتياح وقالت عن البستاني: «هو الرجل الذي جادت بـه الطبيعة على الامة العثمانيّة في هذا الوقت». وقد عرّبت قولها هـذا احدى الجرائد اللبنانيّة...

٣ ابان الحرب وبعدها

كان من رأيه ان تجتنب تركيا الحرب فتقف منصرفـةً الى تحسين احوالها الاقتصادية فتستفيد من المتحاربين واذ تخرج الدول منهوكة القوى تكون هي قوية نشيطة فتستعيد مجدها السالف. غير ان الدسائس الالمانية لم تمكّنه من ذلك فاستعفى واعتزل. ولم يكن اعتزاله في سويسرا ليمنعه من التـداخل في السياسة والعمل لخير الدولة فقد سعى مرتين لعقد صلح منفرد بينها وبين دول الحلفاء وكاد ينجح

وكان اول مساعيه في اوائل سنة ١٩١٧ فتفاوض طويـلًا مع المستر مورغنتو سفير اميركا سابقًا في الاستانة. وكان أن ذهب لورد بلفور وزير خارجيّة انكلترّة الى واشنطون في تلك الاثناء مفوّضًا فوق العادة ارسله لويد جورج رئيس الوزارة اذ ذاك. فاجتمع في ليلة راقصة بالمستر مورغنتو فاشار عليه هذا بضرورة الاسراع بذاك الصلح المنفرد وهيّأ الخطة التي كان اتفق عليها مورغنتو مع البستاني وهي ان يذهب مندوب من كل من ايطاليا وانكلترا وفرنسا واميركا، وجميع هؤلاء المندوبين من اليهود، الى مصر بحجة الاهتمام بامر اليهود في الشرق الادنى. فيوافيهم انور باشا في جهة قنال

السويس. وكان ذلك اذ جاء انور بلادنا سنة ١٩١٧ بحجة تفقُّد الجيش وكان ناقل الخبر الى انور حاخامباشي الاستانة صديقهُ وصديق مورغنتو. غير ان مندوبي الحلفاء قبل قيامهم من جبل طارق ادركهم الدكتور وايزمن زعيم الصهيونيين وكان قد علم بهمتهم السرية من سكرتير يهودي المستر لويد جورج. فاسرع في مقابلة رئيس الوزارة وأفهمه واقنعه ان الصلح مع تركيا يفيد سلامتها وبالنتيجة عدم انسلاخ فلسطين عنها وكانت قد تقرَّرت وطناً قومياً للصهيونيين. ثم اتى الزعيم جبل طارق فنهى المندوبين عن اتمام مهمتهم بصفته صهيونياً ولانه كان قد اقنع لويد جورج فشلَّت تلك الفكرة

نقلت هذه الرواية مجلةٌ مصرية عن احدى المجلَّات الاميركية سنة ١٩٢١. وقد اكَّدها الفقيد لاحد اصدقائه وذكر له الشروط التي كان قد اتفق عليها مع دول الحلفاء وكلُّها في مصلحة تركيا وهي كما اودعها مذكراته :

١ً الغاء الامتيازات الاجنبيَّة الغاء تامًّا
٢ً اعادة ممتلكات الدولة عدودها
٣ً حل مسألة الجزر بما يوافق الدولة
٤ً إمداد الدولة بكل ما يلزم لها من المال لاصلاح شؤونها

ولم يرهن هذا العقل عزيمتهُ بل تابع مساعيهُ وكان طلعت قد رغب اليه ببذل الجهد في ذلك السبيل. وقبل عقد الهدنة بستة اشهر توصَّل الى اقناع مندوبي الحلفاء بعقد الصلح مع المحافظة على معظم الشروط السابقة. واخذ يخابرة الاستانة. وكان قد عرف بهذا الامر امبراطور المانيا بواسطة سفيره في سويسرا. فهرول بنفسه الى الاستانة حاملاً معه ١٠ ملايين من الجنيهات نَقَد منها مليوناً لطلعت ومليوناً آخر لأنور ومليوناً ثالثاً لذيولها فباع هؤلاء السلطنة العثمانيَّة (١) ومما يُعرف عن ثقة انه بعد ان ترك انور الاستانة رأوا الارض تحت بلاط بيت من بيوته مرصوفة بالليرات الذهبية

وبعد الحرب اثناء انعقاد مؤتمر ڤرسايل كلَّفتهُ الدول المشتركة فيه ان يكتب مذكرة في مسؤلية الحرب، من حيث دخول تركيا فيها فكتبها في ١٢٠ صفحة كبيرة ولم يُطبع منها الَّا عدد قليل وُزِّع على مندوبي الدول المجتمعة

(١) بولس غانم : من هو سليمان البستاني – لسان الحال في ٣-٦ آب ١٩٢٥

ثم «قامت النزعات المختلفة تتجاذب الناس وتدافعهم من كل جهة والى كل وجهة. تجاذبتهم ودافعتهم جميعاً الا سليمان البستاني الذي ظلّ رابضاً ربضة الجبّار الرصين المستيقظ. فلا هو اسرع الى الارتماء في تيّاراتها ولا الخابطون في مجاهلها فطنوا الى الاهتداء بهديه والاسترشاد برشده والاستنارة بنوره.

«بلى... قد فطن اليه الذين عرفوه حقّ المعرفة! فطنت اليه الحكومة التركيّة بعد ان استتبّ لها الامر في الاناضول فاستقدمته اليها... ولكن البستاني كان اقوى منها اذ ظلّ واضعاً شخصيّته فوق المؤثرات الخارجيّة فطوت حكومة الاناضول صفحة دعوتها اياه الى احضانها كما طواها هو دون تطبيل او تزمير» (١)

٣ اخلاصه لدولته ولأمّته — الترك والعرب — وطنيّته

كان في كل المناصب التي تولّاها يعمل بنزاهة وتجرّد مخلصاً اشدّ الاخلاص لدولته تركيا. وقد رأينا رأيه في اول هذا الدرس بوجوب تجنيد المسيحيّين مع المسلمين وتعميم اللغة التركيّة فكان كما قال عنه كبار نظّار الاتراك: «اخلص رجل لتركيا من غير عنصرها» ونقدر ان نزيد: ومن عنصرها ايضاً. ولا ينفي هذا الاخلاص لدولته حبّهُ لأمّته ولغته فقد كان من اقصى امانيه ان يتألف من الولايات العثمانيّة العربيّة حكومات لامركزية في تلك السلطنة الفسيحة وكان يفضّل هذا الحلّ على الانسلاخ عن تركيا كما قدرنا ان نستنتج من اقواله وكتاباته لانه كان اكثر رزانة من ان ينادي على رؤوس الاشهاد باحلام كانت بعيدة التحقيق في ذاك الحين. وهو لم يألُ جهداً، إن في المجلسين او في الوزارة، في توثيق عرى الوداد بين عنصري الترك والعرب. فعضد اللغة العربيّة في المبعوثان وأيدها في المحاكم ومدارس الحكومة وبقيّة الدوائر في بلاد العرب واستصدر الاوامر الرسميّة بمنع ترظيف جاهليها في هذه البلاد ومنع غير ابنائها من تدريسها في المدارس الاعدادية والرشدية والسلطانية وإرجاع من عُزلوا من وظائفهم اليها لجهلهم لغة الاتراك» (٢)

انما حبه لوطنه وابنائه فظاهر في كل حرف خطّه وعمل أتاه. لا يدّخر في خدمتهم

---

(١) جريدة «السلام» — بوانس ايرس — في ٨ حزيران ١٩٣٥

(٢) جرجي نقولا يازجي: سليمان البستاني (ص: ١١)

وقته حتى ولا صحّته وقد كتب من الاستانة الى السيّد اسكندر شمعون وكان قد دعاه الى زيارة اميركا لتفقّد احوال المهاجرين :

«لم يتقرّر بعدُ شيء قطعي بشأن سفري الى الولايات المتحدة او غيرها من الاقطار الاميركية فاذا تقرّر شيء من ذلك افدتكم. ولا اخفي عنكم ان بعد الشقة يخيفني على ما انا عليه من ضعف الصحة ولكن اذا تبين لي من ورائه فائدة حقيقية لابناء الوطن فلا ابالي حينئذ اذا سمحت الفرصة »

وكان يخدم الجميع على السواء لا فرق عنده بين المسيحي والمسلم وكثيراً ما اجتهد رحمهُ الله في قتل روح التعصّب والتفريق وطالما قال للاستاذ بولس غانم : «انقل عني الى ابناء لبنان اني اوثر ان اراه اجدب خالياً من السكان على ان ارى التنابذ والتفريق عاملاً عمله بين الطوائف والاحزاب »

ولبنان كان قبلة افكاره خاصةً اثناء مرضهِ في سويسرا حتى ان مصائب الوطن وبنيه كانت تُنسيه اوجاعه الشخصيّة

وهذه حادثة تبيّن في آنٍ واحد تعلّقه بوطنه واخلاصه وامانته لمصلحته :

اتى سنة ١٩١٠ موفداً من قبل السلطان لزيارة ولاية بيروت . ولمّا لم يكن لبنان مشتركاً بانتخاب المجلس ولم يكن البستاني موفداً اليهِ لم يطأ ارضه الّا مرةً واحدة راداً الزيارة للمتصرف في بيت الدين وذلك بصفة رسميّة . وبالرغم من كونه لبنانيّاً وبالرغم من وجود اهلهِ في بكشتين والدبيّة وهما على مسافة قصيرة من بيت الدين فانه لم يشأ الّا السير بموكب بعثته . وهكذا فقد اتى بيروت ورجع ولم يرَ قريته واهله مع ما كان عليهِ من الحبّ . . . واذ كان سائرًا في طريقه الى القسم الجنوبي من الولاية بين بيروت وصيدا رأى من السعديات بيته في بكشتين على مسافة ثلاث ساعات . فتأوّه حنيناً اليه . وكان الى جانبه في المركبة الشيخ عبد الله البستاني . فالتفت سليمان اليه وقال :

قد طال عهدي بالقريض فخانني أنسيتهُ ببديهه وبيانهِ
وحللتُ لبنانًا فهاج قرائحي ذكر الصبا بحنينهِ وحنانهِ
فاذا نطقتُ فانما هي جمرةٌ في قلب من يصبو الى لبنانهِ

القسم الثالث: رجل العلم والادب

لم تكن شهرة فقيدنا السياسية لتغطي شهرته العلمية والادبية. وهي وان كانت اكثر ضجّة في حياته سوف تتضاءل مفسحةً المجال للثانية. وسيذكر العالم رجل السياسة بينما رجل العلم والادب يظلّ خالداً بخلود علمه وادبه

١ رجل العلم

قرن البستاني الخبرة السياسية الى التعمّق في العلوم فكان يُجيد الجبر والهندسة والطبيعيات والكيمياء. وكثيراً ما عُرض عليه ادقّ الاعمال الحسابية فحلّها غيباً بعد افتكار قليل

﴿الوفنزال﴾ وهو اول من افتكر بالاختزال العربي فوضع طريقتهُ ونشرها في الجزء التاسع من دائرة المعارف في مادة «ستينوغرافيا» بعد ان ذكر تاريخه عند الشعوب القديمة والحديثة وفائدته. وقد اتخذ قاعدةً لتلك الاصول «الاوضاع العامّة واعتمد فيها على مخارج الحروف فجعل صورةً واحدة من حيث الشكل لكل حرفين اتحدا في المخرج (الّا الصاد والطاء) وجعل اكثر الحروف وروداً في الكلام العربي اسهلها رسماً بالوصل والقطع... واضاف اليها روابط بالغة في الايجاز» (١ . ثم نشر هذه الطريقة في كتيّب على حدة كما اوردنا في القسم الاول من هذه الترجمة (ص : ٨٧٦)

وقد اخترع آلة يستعملها المختزل العربي فيتمكن من متابعة اسرع خطيب وهي اشبه بالآلة الكاتبة الّا ان عدد مفاتيحها اقلّ لا يتجاوز ٢٦ والورق الذي يستعمل لها لفافاتٌ لا يزيد عرضها على ٥ سنتيمترات. اذا نقر المختزل على المفتاح ارتسمت العلامة الاختزالية على اللفافة الدائرة على بكرةٍ من تلقاء ذاتها. وسلّم اكتشافهُ هذا الى شركة فرنسوية صنعت له قُبيل الحرب ثلاث آلات بصفة نماذج كانت احداها عنده في الاستانة والاخرى عند اخيه الدكتور سليم في مصر والثالثة عند نسيبه الاستاذ

---

١) راجع دائرة المعارف «ستينوغرافيا» (الجزء ٩) حيث ترى رسوم الاحرف المجانسة وشرح استعمالها

وديع البستاني. واتفق ان اشتعلت نار الحرب فحالت دون السير بالمشروع. وكان من جملة اغراضه في زيارة اميركا الاهتمام بهذا الاختراع

﴿الاكتشاف الميكانيكي﴾ ومن جملة مقاصده بزيارته تلك الاصقاع كان اتمامه باتمام اكتشافه الميكانيكي وهو جديد في بابه يختص بتقوية القوة الدافعة والمحركة في رفع الاثقال وجرها على طريقة المخل. وقد قابل اديسن كما ذكرنا ولكنه لم ينشر نتيجة هذه المقابلة ولربما ظهرت في مذكراته

﴿قلب ورق البيانو﴾ ومن مخترعاته ايضاً آلة تقلب من تلقاء نفسها اوراق دفاتر «النوط» التي يستعملها الضارب على البيانو فتتوفر عليه اذ ذاك مؤونة قطع عزفه كي يقلب تلك الاوراق. وقد استحصل شهادات (باتنات) بهذا الاختراع من فرنسا والمانيا وتركيا

﴿الة الكتابة والحركة الدائمة﴾ وقد ذكر الاستاذ بولس غانم انه اخترع ايضاً آلة للكتابة العربية باع امتيازها من شركة اميركية. وكان يابو وقت فراغه يبحث في مسألة الحركة الدائمة. واصطنع آلة صغيرة ليتمكن من تحقيقها مع علمه انّ تطبيق ذلك على آلة كبيرة من المستحيل

﴿العلوم والمعارف﴾ امّا علومه في المجتمع والتاريخ والفلسفة فكانت متسعة وعميقة تجعله في صف اكبر العلماء الغربيين. وله كثير من الابحاث المفيدة في النشوء والارتقاء واسباب تفوّق بعض العناصر والاجيال البشرية على غيرها وتأثير الوراثة في الاخلاق والعادات الى غير ذلك مما حمل الكثيرين على عدّه اول عالم عربي عصري ومنهم الاستاذ حبيب كاتبه فقال: «ادعو البستاني اول عالم عربي عصري لانه اوّل من ادرك سرّ العلم الانتقادي الغربي فامتاز بذلك على معاصريه مثل عمه بطرس واليازجيين وغيرهم حتى وجرجي زيدان الذي اعدّه ثانيةً» (١). وهذه دائرة المعارف اصدق شاهد على ذلك وقد اصدر منها بمعاونة ابناء عمه نسيب ونجيب ثلاثة اجزاء التاسع والعاشر والحادي عشر وكانت له اليد الطولى في ذلك العمل الكبير. وان من عرف شغل الفتيد ومحبته للعلوم منذ صباه وملازمته للمرحوم المعلم بطرس يقدر

١) حبيب كاتبه سليمان البستاني اول عالم عربي عصري - الاخلاق (حزيران ١٩٢٥)

ان يقول مع السيد وليم كاتسفليس :

« ان المرحوم سليمان حتى في الاجزاء التي ظهرت قبل وفاة عمه بطرس في جمعها وترتيبها اكثر مما لعمه . واني اذكر ان المرحوم قال لي هو نفسه انه كان يشتغل ليلاً ونهاراً بجمع المواد وتبويبها وعند اكتمالها كان المعلم بطرس يراجعها فيحذف منها او يزيد عليها بعض المواد ويجهزها للصف . وانتم يا تلمذة من تواضع المرحوم سليمان تذكرون انه لم يذكر ذلك من قبيل المفاخرة بل جواباً على سؤال مني جعلته بقالب يقتضي هذا الجواب . وفي عرفي ان اشتغاله بجمع المواد المذكورة وهو في ريعان الشباب فتح العقل والنفس لاقتبال البذور الطيبة وهو ما جعله في المنزلة العالية الكبرى التي نالها في عالم الادب ليس فقط بما اكتسبه من المعرفة في ذلك العمل الشاق بل لانه اتخذ عادة البحث والتنقيب والمثابرة بلا ملال على الدرس فاصبحت فيه طبيعة ثانية » (السائح ٢٢ حزيران ١٩٢٥)

ومن نتائج هذا التعمق في الدرس تلك المقدمة الخالدة للالياذة التي شبهها الكثيرون بمقدمة ابن خلدون ونسبتها الى تلك المقدمة من حيث دقة البحث هي ، على قول المقتطف ، كنسبة العلم في هذا العصر اليه في عصر ابن خلدون

اللغات وقد ساعد الفقيد على التوسع معرفته الكثير من اللغات فقد كان يتقن العربية والتركية والفارسية والانكليزية والفرنسوية وله في جميعها مؤلفات ومقالات . وكان يتقن ايضاً اليونانية الحديثة والقديمة والسريانية . ويعرف اللاتينية وفروعها كالايطالية والاسبانية . ويُلِمُّ بالالمانية والروسية والهندية والعبرية . فهذه خمس عشرة لغة عدا السن القبائل العربية المختلفة كاللسان المعروف بالتواري وغيره

ومما يروى عنه انه استُقبل مع نوّاب العرب في الاستانة سنة ١٩٠٨ فخطب باللغة العربية وثنّى بالتركية كي لا يمسّ حاسة الاتراك . وطلب اليه ممثلو الدول الاجنبية ان يفهمهم ما يقول فتكلم باللغة الفرنسوية والانكليزية بفصاحة نادرة . ثم رغب اليه اليونان وقد عرفوه معرّب الالياذة ان يتكلم لغتهم ففعل . فسِيرَ به محمولاً على الاكفّ الى المجلس . . .

٢ رجل الادب

ان الكلام على صفات رجل الادب ومزايا الكاتب والشاعر والخطيب والصحافي يتطلب بحثاً طويلاً يضيق عنه نطاق هذه المجلة . ولهذا فاننا نترك ذلك لفرصة اخرى

مكتفين الآن بذكر مؤلفاته مع بعض معلومات عنها :

١ ﴿دائرة المعارف﴾ طبع الجزء التاسع منها سنة ١٨٨٧ والعاشر سنة ١٨٩٨ والحادي عشر سنة ١٩٠٠ وقد تقدم بعض افادات عنها

٢ ﴿الدفتر الـ﴾ نشر هذا البحث في دائرة المعارف سنة ١٨٨٧ ثم طبع على حدة

٣ ﴿الالياذة﴾ نُشرت سنة ١٩٠٤ مترجمة شعراً مقدمةً ببحث جليل في ٢٠٠ صفحة كبيرة عن سيرة هوميروس وشعره وآدابه والشعر اليوناني ومقابلته بالشعر العربي وآداب الامتين ومستقبل اللغة العربية الخ ... وعليها شرح ادبي تاريخي اجتماعي . والالياذة اهم عمل اتاه البستاني بل اعظم كتاب عربي ظهر في القرن العشرين فتلقتها الاندية الادبية الشرقية والغربية بغاية ما يمكن من السرور والارتياح وقال عنها الكثيرون من المستشرقين وفي مقدمتهم مرغوليوث المستشرق الانكليزي انها اصح ترجمات الالياذة واشدها مطابقةً للاصل مع انها تُرجمت شعراً . واذ ظهرت الالياذة بمقدمتها الجليلة قرّر المجمع العلمي اليوناني في اثينا ان تُترجم المقدمة العربية الى لغته وتُطبع دائماً مع الاصل اليوناني . واذ انتُخب البستاني نائباً عن بيروت دعاه ملك اليونان الى المرور باثينا وقال : « اذا قصرنا في استقبالك فانّ تماثيل فلاسفة اليونان المنتشرة في شوارعنا ترحب بك » . وطالع الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية بعض مقاطع منها قبل نشرها فقال : « ان هذا الاثر النفيس الذي لم يظهر على عهد بني العباس اظهره البستاني على عهد عباس » (واراد به خديوي مصر) وقال ايضاً : أنا اجهل اللغة اليونانية ومع احترامي لهوميروس لا اقدر على الحكم في شاعريته ... اولكن اذا كان شعره باليونانية يُضاهي شعر البستاني بالعربية فانا اول من يقرّ بعظمته ... وهذه حادثة تظهر اعتبار معرّب الالياذة في المحيط الغربي :

كان في لندرا اثناء زيارة وفد النوّاب العثماني لها وكان رئيساً لذلك الوفد فاراد زيارة المكتبة الوطنيّة فقصدها وارسل لمديرها بطاقتهُ وعليها صفتهُ السياسيّة وجلس منتظراً . وما هي دقيقة حتّى رأى المدير يُهرولاً نحوهُ فاستقبلهُ بكل اكرام وبعد السلام قال المدير : « اهلك نسيبٌ البستاني معرّب الالياذة ؟ فقد سمعت انهُ سائح في اوروبا اليوم » فابتسم سليمان وقال : « نعم انا نسيبٌ له وهو سائح في اوروبا » فقال

المدير : « العلّه في انكلترة ولم نعرف بذلك؟» فقال سليمان : « واظنه ايضاً في لندرا » ثم زاد ابتسامه . فابتهج المدير وقال : العلّه انت ؟ فقال : نعم . عند ذاك ظهرت علامة تأسف على وجه المدير وقال : «What poor change!» ومعناه : «يا له تحوّل تاعس» ومراده ان من التعاسة ان يتحوّل معرّب الالياذة الى رئيس الوفد التركي !!!

ومن اراد زيادةً في وصف الالياذة وما احتوت عليه فليطالع المقالة النفيسة التي نشرها في انتقادها حضرة العلّامة الاب خليل اده اليسوعي في اربعة اعداد من مجلة المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٨٦٥ ; ٩١١ ; ١١١٨ ; ١١٣٨)

٤ ﴿عبرة وذكرى﴾ طبع سنة ١٩٠٨ وقد وصفناه في قسم «رجل السياسة»

٥ ﴿الوفاء والثناء﴾ قصيدتان طبعتا طبعة ثانية سنة ١٩٢٠

وللفقيد من المؤلفات غير المطبوعة :

٦ ﴿تاريخ العرب﴾ وهو يقع في اكثر من الف صفحة كبيرة بحث فيه عن العرب واحوالهم واطوارهم وعاداتهم مما اطّلع عليه بنفسه اثناء رحلاته العديدة

٧ ﴿مذكراته﴾ كان يكتبها باللغة الانكليزية وفيها ذكر اسفاره التي شهد بنفسه والآراء الكثيرة من سياسيّة وفلسفية وادبية وهي كنز ثمين نرجو ان تُتحف به لغتنا في القريب

٨ (ديوان شعر العرب الحاليين) وقد جمع فيه ما سمعه من اشعار العرب اليوم منظومة بلغات القبائل المختلفة . . والكثير غير ذلك من القصائد مثل «الذئب والغربان» و«الخيبة والرجاء» و«الخيانة والوفاء» و«الترك والعرب» والابيات المفردة والمقالات بالعربية والفرنسوية والانكليزية والتركية . . .

***

هذا هو سليمان البستاني وقد اجتهدت باظهاره للقارئ الكريم كما هو . . . ولست بموفيه حقّه مهما اطلتُ الكلام . ولكن هي نافذة افتحها على ذاتيّة البستاني الكبيرة فيرى منها اللبناني عظمة تلك النفس وقوّة ذاك القلب واضطرام تلك العاطفة في محبة القريب وانجاحه

اقد كان قلب البستاني كبيراً ليسع قومه واسعاً لافادتهم مفتوحاً لاستقبالهم جميعاً فافاض عليهم نور المعرفة صافياً وعمل لتخليد اسمهم بين الامم . . .

ومن افاض النور فهو نير ساطع ! ومن عمل للتخليد فهو خالد !

القبعة على رؤوس الاتراك والعرب

نظر اخلاقي للاب لويس شيخو اليسوعي

يعلم قرّاؤنا ما تقدّم به رئيس الجمهورية التركية في انقرة لرعايا دولته فامر ان يجعلوا على رؤوسهم القبعة تشبّهاً بالامم الاوربية وبهِ زال آخر ما بقي من المميزات للاتراك عن سواهم في اللابس

فاستاء كثيرون منهم لهذه الاوامر الشديدة التي لم يُعفَ منها احد من صغار او كبار من طلبة المدارس او ارباب الدين فجرى لهم اليوم ما جرى قبل مئة سنة لما جعل السلطان محمود الثاني الطربوش شعاراً للاتراك فامتعض كثيرون غيظاً لذلك وكادت تقع ثورة في الجند والشعب من جرّائه . وها هوذا اليوم قد أُلقي الطربوش عن هام لابسيهِ فنزل من مرتبتهِ السابقة وغلبت عليهِ القبعة الفرنجية كما غلبت سابقاً على اللابس الشرقية الواسعة البهية ثيابُ اوروبة الحرجةُ الضاغطة . اما القلبساق فكان ملكهُ قصيراً وسلطانهُ ضيقاً .

ولسنا نحن لنؤاخذ رجال انقرة على ما يفضّلونه من الازياء في الملابس : فانّ الازياء تختلف من عهد الى آخر على اختلاف اذواق لابسيها فيُستحسَن اليوم ما كان يستقبَح أمس وربّما عاد اللابس الى ثياب اجدادهِ فانهُ ليس جديد تحت الشمس

وقد سألنا بعض الآغاوات في الاستانة العليّة هل عرف قدماء العرب والاتراك قبعة الرأس وتزيّوا بها في سالف الازمنة . فنقّبنا عن ذلك في آثار مكتبتنا الشرقية فكانت نتيجة بحثنا انّ القبّعة وان شئتَ قل البرنيطة حكمت احياناً على رؤوس الشرقيين من الترك والعرب